الأنساق الثقافية المضمرة في رواية شعلة المايدة لمحمد مفلاح أنموذجا

طيهار نسيبة*

[1] جامعة المسيلة، الجزائر، nassiba.tihar@univ-msila.dz

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن جانب من الأنساق المضمرة في رواية" شعلة المايدة"، وهي أحد الأعمال الرائدة التي منحت لصاحبها حين ظهورها التميز والحضور الفريد في الأوساط الأدبية والنقدية، لأنها عبرت عن مرحلة تاريخية ودينية والثوري، في المسار الروائي الجزائري، وبما أضمرته من بني عميقة متجذرة في الذاكرة الفردية والجماعية للمجتمع الجزائري، وقد تم تجاوز بناء سرد التقليدي للرواية، وعليه تحاول هذه الدراسة مع مراجعة النص الروائي بمقاربة ثقافية نسقية تبحث عن المعاني المتخفية والمعلنة داخل نص الرواية، باعتبارها منتجا ثقافيا ينقل الحقبة التاريخية بمختلف مراحلها إلى الحيز الثقافي النصاني، ويعكس روح المجتمع في تقليده وطقوسه وهذا ما تجلى في نص محمد مفلاح.

الكلمات المفتاحية: النسق، المضمر، المعلن ، الأدب الجزائري، الأنساق الثقافية.

---

* طيهار نسيبة

1. مقدمة:

إن التحول الذي شهدته النظريات النقدية المعاصرة فرض تغييرات جذرية، على مستوى النص الأدبي الروائي شكلاً ومضموناً، وقد أدى هذا الانتقال من قراءة النصوص الإبداعية–قراءة دلالية–إلى قراءة الأنساق الثقافية، وبالتالي لم يعد النص بكل تجلياته وأنماطه وصيغة المتعددة مقصودا لذاته، وإنما بات يحمل أنساقا ثقافية يحبل بها، وقد دعا النقد الثقافي إلى استعباد كل محاولة لحصر الناقد في تخصص أدبي معين.

وقد عرفت الرواية الجزائرية المعاصرة ممارسات نقدية حديثة، تستدعى إعادة قراءة النص الأدبي من جديد سواء على مستوى تأويل النص أو استنطاق النص، الأمر الذي دعا إلى تمرير هذه الرؤى والتصورات التي تلامس العصر وتتغلغل في أعماق المجتمع لتكشف عن أهم القضايا الإنسانية، لذلك اخترت أحد كتابات الروائية لمحمد مفلاح لاستنطاق هذا الخطاب المضمرة بكل مكنوناته النسقية العميقة التي تستدعى إعادة فتح الخطاب ومحاورته، ومساءلته باعتباره حدثا ثقافيا جماليا ساعيا لقراءة النص وتفكيك المعنى، والسباحة في جغرافيا الفضاء الدلالي الروائي.

2. رصد مفاهيمي للنقد الثقافي:

1.2 ماهية النقد الثقافي:

تزامن ظهور النقد الثقافي في الساحة الغربية حيث كانت له إشارات، وسبقته لذلك عدة ممارسات نقدية رائدة عبد له الطريق، واستدعت بضرورة وجوده في الساحة النقدية العالمية، وتنوعت مشاربها، وتعددت جهودها ورؤاها ومنه يقودنا الحديث إلى البحث عن دلالته في الاصطلاح العام:

ارتبط النقد الثقافي بالأنساق الثقافية حيث يقرأ النص والأنساق من وجهة نظر النقد الثقافي على أنه حالة ثقافية، وبذلك فالنص لا يكون مجرد خطاب أدبي جمالي.

والنسق دلالة مضمرة، وهذه الدلالة ليست مصنوعة من طرف المؤلف، فهي تكون مغروسة في النص، تؤلفها الثقافة ويستهلكها المتلقي.

ويتميز النسق بطبيعته السردية، ويحرك بحبكة دقيقة هي من تجعله مضمرا ذو أوجه عديدة"[1] ، أخذ مفهوم النسق دراسات معمقة، فالنسق مركب من عناصر تتفاعل فيما بينهما أو بتعبير آخر النسق مجموعة عناصر في تفاعل دينامي متحول، وهذه العناصر منظمة أو منسقة لتحقيق هدف واحد محدد"[2]، ويعد مفهوم النسق النظام والبنية.

وأما مصطلح الثقافة فقد ارتبط بالأنساق، باعتبار الثقافة نظام دلالي،أقره "دليدا" بأنه نظام دلالي لخطاب بنيوي أثروبولوجي يدرس الخصائص الاجتماعية والبنيات الثقافية الشعبية لمجتمع ما[3].

في حين يرى إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق بأنه:"مؤسسة ثقافية تدرس التكوينات وطرق تفكير لمؤلف ما، وبنيات النص ونوع الخطاب[4]

2.2 إضاءات نقدية لروايات محمد مفلاح التاريخية:

*من هو محمد مفلاح؟:

محمد مفلاح من مواليد 28ديسمبر 1953م في مدينة غليزان هو كاتب وروائي وقاص وباحث جزائري في التاريخ،ونائب سابق في البرلمان الجزائري ممثلا لجبهة التحرير الوطني ويشتغل في الصحافة أيضا يكتب بالعربية ويلقب برائد الرواية التاريخية النقدية[5].

---

[1] - عبد الله الغذامي: النقد الثقافي –قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ج2005،3،ص:77-80.

[2] - سعيد يقطين: الفكر الأدبي العربي، البنيات والأنساق، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ط1، 2014،ص:81.

[3] - حمودة عبد العزيز: الخروج من التيه، دراسة في سلطة النص:عالم المعرفة،2003،ص:251.

[4] - سمير خليل : النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، دار الجواهري، لبنان، ط2012،1، 12.

***سيرته:**

شرع في نشر مقالاته الأدبية منذ السبيعينات من القرن الماضي بملحق"الشعب الثقافي"الذي كان يشرف عليه الروائي الطاهر وطار، وفي الفترة نفسها ظهرت قصصه القصيرة بالجرائد والمجلات الوطنية ومنها(آمال، والوحدة،والمجاهد، والنادي الأدبي)، وقد نشر بعضها سنة1983.في مجموعته القصصية الأولى الموسومة "السائق".

مارس مهنة التعليم منذ سنة 1971 بمدينة غليزان، وفي سنة 1984، تولى مسؤوليات قيادية بالمنظمة النقابية(الاتحاد العام للعمال الجزائريين)من سنة1998مإلى2001م، وضمن المجلس الوطني بالاتحاد خلال عهدة أخرى، انتخب بالمجلس الشعبي الوطني(البرلمان الجزائري)، عن ولاية غليزان، سنة1997م، ثم أعيد انتخابه سنة2001، وهو متفرغ للكتابة والبحث، بعد تقاعده سنة2007م، نشر مقالاته الأدبية الأولى منذ سبعينيات القرن الماضى بملحق "الشعب"الثقافي الذي كان يشرف عليه الروائي الطاهر وطار، كما كتب أكثر من عشر تمثيليات إذاعية بين أعوام(1973م–1978م)، ونشر قصصه الأولى في السبعينيات بالجرائد والمجلات الوطنية إذ جمع بين الرواية والقصة والتاريخ والسياسية والنقابة والتعليم.

نشر مقالاته الأولى بالملحق الثقافي لجريد الشعب، الذي كان يشرف عليه الروائي الطاهر وطار(1973م–1976م)، كما نشر قصصه الأولى في بداية السبعينيات من القرن الماضي بالجرائد والمجلات الوطنية ومنها(الوحدة، آمال، الجزائرية، النادي الأدبي لجريدة الجمهورية)، وطبعها سنة 1983م تحت عنوان"السائق".

---

[5] - محمد مفلاح:الرواية التاريخية تدون ما أهمله المؤرخون"،مؤرشف من الأصل في 2024/02/20م، محمد مفلاح يؤرخ لثورة التحرير1864.

***الحركة النقابية:**

شرع في التدريس منذ سنة1971 بمدرسة سعيد زموشي (غليزان) ثم بمتوسطة19 جوان بغليزان، ومارس العمل النقابي منذ1972م، انتخب أمينا عاما للاتحاد الولائي بغليزان، وعضوا المجلس الوطني(1984م-1990م)، انتخب عضوا بالأمانة الوطنية للاتحاد العام للعمال الجزائريين(1990-1994م).

***البرلمان:**

برلماني سابق خلال عهدتين:((عهدة1997م-2002م))و(عهدة 2002-2007)وتولى عدة مسؤوليات بالمجلس الشعبي الوطني منها: مقرر ثم نائب رئيس المجموعة البرلمانية لحزب جبهة التحرير الوطني.

نائب رئيس لجنة الثقافة والسياحة والاتصال، ونائب رئيس اللجنة القانونية.

***اتحاد الكتاب:**

انتخب عضوا بالأمانة الوطنية لاتحاد الكتاب الجزائريين (1998-2001)، وأعيد انتخابه عضوا بالمجلس الوطني للاتحاد عام 2001.

***مؤلفاته الرواية:**

-الإنفجار(مجلة آمال)1983.

-بيت الحمراء1986.

-زمن العشق والأخطار1986.

-هموم الزمن الفلاقي(مجلة الوحدة)1986.

- الانهيار1986.

-خيرة والجبال1988.

-الكافية والوشام2002.

-الوساوس الغربية2005

روايات محمد مفلاح: الأعمال غير الكاملة2007.

-عائلة من فخار2008.

-انكسار2010.

-شعلة المايدة2011.

-هوامش الرحلة الأخيرة2012.

-سفاية الموسم2013.

-همس الرمادي2013.

-سفر السالكين2014.

-شبح الكليدوني2016.

قصص: "السائق" مجموعة قصصية"، 1983.

"أسرار المدينة" مجموعة قصصية، 1991.

***قصص الأطفال:**

-معطف القط منيوش" قصص الأطفال" 1990.

-مغامرات النملة كليحة"// //1990.

-وصية الشيخ مسعود" // // 1992.

-اللؤلؤة "// // 2013.

-قصص الحيوانات2013.

***التاريخ:**

- شهادة نقابي2005.

- سيدي الأزرق بلحاج رائد ثورة 1864م المندلعة بغليزان،2005.
- أعلام من منطقة غليزان2006.
- شعراء الملحون بمنطقة غليزان"تراجم ونصوص"، 2008.
- الطريقة الرحمانية في غليزان"[6].

1.2/رواية" شبح الكليدوني": وهي من منقولة من الموقع: الرواية نت...

"تثوير التاريخ وتحوير الأسطورة"...."شبح الكليدوني" لمحمد مفلاح كتبها الناقد الأكاديمي الدكتور:"محمد أمين بحري"

لئن انصب اهتمام جل الروايات المعاصرة حول انشغالات لا تبتعد عن هواجس المحيط الشخصي لأصحابها، أو المناسبات الكبرى المعروفة في العالم والتاريخ، لتعيد تزمينها بشتى الطرق ...فإن هناك من بين الروائيين من انبروا للبحث والتنقيب عن مناجم معرفية دفينة، واكتشاف حقول مهملة، تمكنوا فيها من استنهاض المقفول عنه داخل المألوف، وافتضاض خادرات الأفكار على مبعدة من السائد والشهير من الحوادث والأخبار، وحين يخاطبون معارف القارئ، وثقافته، ستتولد معرفة ثالثة يشترك في تشكيلها الروائي وقارئه في تآزر خلاق...ذاك ما قام به محمد مفلاح في روايته السادسة عشر:"شبح الكاليدوني"، استئنافاً لما باشره من قبل مع نصوص حفرية تاريخية في صورة"شعلة المايدة"أو "سفر السالكين".

قدم د.محمد الأمين بحري تعقيبات عن الرواية ومحورة تاريخية ترجمها ب:

أولا: من السرد المعرفي إلى التاريخ المضاد: بحيث أن الروائي محمد مفلاح يزج بنا إلى تضاريس جغرافية وأسفاراً تاريخية، تجعل من هوامل الأحداث و شوارد الأخبار في الأماكن الحائلة والأزمة الآفلة، بؤرة لسرد يعيد بناء التاريخ وتوليد أحداثه، بمنأى عن المدارات

[6] - محمد مفلاح: تاريخ الطريقة الرحمانية"، من حصة "قراءات على الجزائرية الثالثة ، محمد مفلاح يروى تاريخ الطريقة الرحمانية، مؤرشف من الأصل في 2024/02/20م، اطلع عليه بتاريخ نفسه.

التاريخية التي تشترع مركزيتها من تكريسها الإعلامي والأكاديمي، ليغدو التاريخ الشعبي بما يمازجه من أبعاد معرفية عميقة منفذاً يخترق البوابة الرئيسية للرسمي، وتضحى الرسوم العافية، استراتيجية تفوق في هندستها تخطيطات المدائن العاتية.

ثانيا: التشكيل الأسطوري للبطل– الولادة المعوقة، ومسارات الرحلة الأوديبية–

يحيل اسم بطل الرواية"امحمد شعبان المنفي"بصورة مباشرة إلى جده" امحمد الكاليدوني" من جهة، ومن جهة ثانية إلى الولي الصالح لبلدة اسمه الثاني:"شعبان"بالأصول التركية لوالدته التي سمته على البطل الثوري التركي:"الداي شعبان"أحد دايات وهران الذي استشهد أثناء محاربته للغزو الإسباني على وهران في القرن 17.

التمزق التراجيدي:

تفتتح الرواية بمشهد شاب في أربعيني أعزب، هو البطل"امحمد شعبان المنفي" الذي تتجاذبه رغبتان خارجيتان، إحداهما رغبة أمه التي تشده إلى المستقبل من خلال حثه على الزواج كي ترى أبنائه وتضمن بقاء نسله، والثانية رغبة أبيه التي تشده إلى الماضي من خلال حثه على البحث عن قبر جده :"الشيخ امحمد الكليدوني"، وكشف سر لقب "المنفي"الذي تحمله العائلة.

فيختار البطل تحت ضغط السلطة الأبوية ، السير في طريق الذي رسمه الأب وما يكاد ينهيه حتى يموت هذا الأب، ويدفنه البطل بيديه، وفي هذه اللحظة المزلزلة ينفتح أمامه طريق ثالث يرتمي فيه بكل جوارحه ويبيع في سبيله كل ممتلكاته المادية، ويقطع من أجله كل علاقاته ببلده وأسرته وعالمه، ليهاجر إلى المنفى الأجداد"كاليدونيا"، ليغدو كليدونياً بدوره، ولم يسلك البطل هذا الدرب سوى استجابة لنداء شبح جده الكليدوني الذي لم يهدأ بداخله،

حتى سلبه روحه ورهن جسده، وأرسله وحيداً إلى أرض المنفى الموعودة، ليتماهى مع أرواح الأسلاف التي تسكنه.

المسلك الأسطوري –الأوديبي–

سيلاحظ القارئ أن هذا المنحى السردي، يتقاطع مع المسلك الأوديبي، حينما يقرر أوديب في الأسطورة خوض رحلته المصيرية نحو معرفة أصوله، فيجد نفسه في مواجهة طريق ذي ثلاثة شعب، يتوجب عليه اختيار إحداها.

يسير البطل"امحمد شعبان"على خطى أوديبية تحايثها اللعنة في رحلة البحث عن الكنز المفقود–معرفة الأصول–، مستهد بخريطة قوامها الرسائل الثلاث التي خلفها جده، وينطلق البطل مسكوناً بشبح جده الكليدوني الآتي من أعماق التاريخ المغيب في رحلة مصيرية نحو الخلاص الذي تحكي الرواية أطواره على نحو أساطيري شائق ينتهي بتحررالبطل من كل ما يربطه بعالمه ومجتمعه ....ويقرر خوض رحلة أسطورية إلى كليدونيا الجديدة ملبيا النداء شبح جده"الكليدوني" سيراً على أقدام متورمة، حال أوديب حين بدأ مسيرة الشقاء ، دون أن نغفل بأن البطل" امحمد شعبان"يعاني مثل أوديب شقي، عقدة النسب التي شوهها لقب المنفي الذي يلاحقه كوصمة عار وسط أترابه منذ الصغر.

2.2/رواية"سفاية الموسم":حيث صدرت رواية جديدة للكاتب محمد مفلاح...وهي تجربة سردية أخرى تضاف إلى رصيد الروائي، الذي عرف عنه المغامرة في فن الرواية والقصة القصيرة ، وكذلك البحث التاريخي والتراثي حول منطقة غليزان.

تقترب الرواية من موضوعات هامة في المجتمع والسياسة، وتفتح للمتلقى دروبا من النقاشات التي عرفها ويعرفها الشارع الجزائري، وتحديداً في فترات الانتقال من الزمن الاشتراكي إلى الزمن الرأسمالي، مع ما يحدثه الانتقال من تحولات اقتصادية وأيديولوجية، وكذلك ما يتركه من تغيرات في المفاهيم والممارسات"

يقول الدكتور عبد الحفيظ بن جلولي عن رواية"سفاية الموسم" يوم 06 جانفي 2014، حيث كتب في مقال له بعنوان:"جمالية الواقعية التغييرية في رواية "سفاية الموسم" لمحمد مفلاح"

حيث يستمر محمد مفلاح في ترتيب مشروعه الروائي معتمدا على واقعيته الشفافة في رسم كيان جغرافيته حكائية تجتهد في تمديد كينونتها في العالم والواقع والإنخراط فيه، وضمن هذه الرؤية تتجلى الملامح السردية في رواية" سفاية الموسم"، التي تتوالد فيها الأحداث من بؤرة رئيسة تتحدد معالمها بالنّضال من أجل إنتاج مجتمع يسير نحو الأفضل، وذلك بترسيم حدود الحنين للحراك الاجتماعي الماثل بين الذّاكرة المفلاحية والواقع المتحرك صوب الصّراع ، ولعل الوظيفة في الوحدة السردية الموجودة في بداية الرواية تضع القارئ في أجواء الحراك الاجتماعي الذي يعتمل في الواقع كما يعتمل في عمق ذات الناص:"سيضطر في الأيّام القادمة للسفر إلى الجزائر العاصمة، لم يحقق شيئا من مقابلته لمدير الريّ"[7].

سفاية الموسم، نص التحولات داخل المجتمع، حيث سيرورة المعيش تنتصر للحركة نحو الآفاق المختلفة، سواء سلبا أم إيجابا، لكن ما تعرض له المجتمع من هزة عنيفة، لم يستسلم لها كل الأشخاص، بل قام لدى بعضهم الجدار الصاد للإنحدار نحو الهمجية التحولية، هو ذاك ما ترمي إليه الرواية من خلال تسمسيتها"سُفاية الموسم" على أساس أنّ السفاية تعني شوك السنبلة، وشخصية نذار السفاية تقف حجر عثرة أمام توغل المجتمع في نظام الانفتاح، جاء في الرواية:"أشار إليه نذار السفاية أن يسكت، ثم ابتعد عنه قليلا، وقال له بسخط: افرحوا يا دعاة الانفتاح المتوحش"[8]

[7] - محمد مفلاح: سفاية الموسم،ص:04.
[8] - محمد مفلاح: سُفاية الموسم،ص:14.

تمزج الرّواية بين الموقف من الواقع الجديد، وامتدادات الواقع في معيش الناس، فشخصية نذار السفاية ترفض الخصخصة، وهو موقف سردي يشكل برنامجا إيجابيا في مواجهة المجتمع الآيل نحو الإنحدار الهمجي للإنفتاح، لكن في ذات الوقت توظف الرواية للكلمات الواردة في أغاني الرّاي، فعودة نسيمة الرواسي إلى الحاسوب وتشغيلها لقارئ الأقراص المضغوطة، الحامل لقرص أغنية"دّي دّي" للشاب خالد، تعبر عن التسرب الصامت لثقافة الاستهلاك والانفتاح اللذين يتغلغلان داخل أنسجة المجتمع دون شعور منه بذلك، وبالتالي فتعبير السُفاية يعكس تلك المرارة النضالية التي تعجز عن المقاومة على كافة الجبهات، فالشوكة تعلق بحلق الطامحين إلى تخريب منظومة المكتسبات الثورية، كما أنها أيضا تعلق بالحلق المجتمعي الطامح للحفاظ على الهوية النّضالية التاريخية.

فساد الأطر المهيكلة للمجتمع، تعبر عنها شخصية هشام الكعام،حيث تبرز عملية التمركز حول الذات، وتنشط هذه الأولية لتغذي مسار السرد بنسغ التحولّ السلبي، لكن في ذات الوقت يضع الناص تقابلات واقعية تمنع من حركة السارد داخل إطار الواقع، وتكثف في ذات الوقت من الصراعية المجتمعية والسردية في إنجاز المأمول النصي والرؤيوي الذي تتغياه الرواية، يقول السارد:"وقال كهل يلف رأسه بعمامة توتيه صفراء أنيقة"[9]، وترسم هذه الوحدة السردية منحى ذو خصوصية مجتمعية قارّة، لكن في ظل التحولات تفقد أي معنى لها دون مقابلتها بالنقيض الذي يعبرّ عن الحركة السردية/ المجتمعية، ذلك أن تودوروف يقول:"إذا أردنا أن نقف على حركة النص فلا مفر لنا من أن نصل نظام النص بالحياة، ولهذا تشير الرواية إلى طغيان الاستهلاك على مناحي الحياة"، وقال رجل يعتمر قبعة

[9] -محمد مفلاح، سفاية الموسم، ص:9.

بيضاء صينية الصنع"[10]، فما بين العمامة والقبعة تنتشر الصراعية لتنبه إلى الأصيل في الواقع الحركة المجتمعية.

واعتمد معمار الرواية حركة شخوصية توظف اللوحات المشهدية لحركة الشخوص النصية، حيث خصت كل فاعل سردي بنمط من الإطار الحركي الذي يحاصر الشخصية ويقدمها إلى القارئ جاهزة للتفعيل داخل فضاء المتلقي، لكن المشهديات الخاصة تتعالق في ما بينها عند مفاصل حيوية تنتج التداخل السّردي المنجز لنسيج السرد ومعماره.

تقود القراءة الفاحصة للرواية إلى استبيان مناطق للتلاقي الحدثي الذي يصب في مجرى شراكة حدثية تنبيهية إلى كافة أطراف الحكاية، فالمقهى الذي تصفه الرواية بأنه:"احتفظ باسم"الصمود"وتخلى عن كلمة"التصدي"[11]، يشكل هذا التوصيف نقطة التلاقي بين جميع الفاعلين في الحدث الروائي، أيضا، الوحدة السردية التالية:" عند زقاق حي المنحدر"[12]، فالمنحدر المجتمعي هو صفة مشتركة تجتمع عندها كل الفواعل السردية، فمنهم من يريد الإفلات منها، ومنهم من يريد تزكيتها على أساس الربح الفظيع الذي تذره عملية الانفتاح.

ترسم الرواية منحى بياني لعملية التأزم المجتمعي، انطلاقا من فكرة التمرد، لكن الإحالة على هذا المنحى الواقعي/ الحكائي، تنجزه من خلال شخصية أنثوية "نسيمة الرواسي" حيث يقول الراوي:"ولما قرأت رواية(زقاق المدق)، حزنت على حميدة، وأثناء قراءة رواية(ريح الجنوب)انحازت إلى صف نفيسة.."[13].

---

[10] - محمد مفلاح، سفاية الموسم،ص:09.
[11] - محمد مفلاح، سفاية الموسم،ص:10.
[12] - محمد مفلاح، سفاية الموسم، ص:27.
[13] - محمد مفلاح، سفاية الموسم،ص:14.

إنّ شخصيتي نفيسة وحميدة، كلتهما متمردتين، والّدلالة الكامنة في الإشارة إلى الأنثى المتمردة هو إضافة الملمح الجمالي على عملية التغيير والتّحول، وتوظيف التناص يرسم للرواية من الناحية المنهجية/ النقدية مجال امتداد النص في العالم، حيث يتأسس حضورها انطلاقا من الركائز الإبداعية التي يتوسم سياق المجتمع الناهض والعابر نحو الأفق الوجودي المتوثب، فما تشير إليه الرواية ب"المشاعر الجديدة"[14]، المتولدة في خيال نسيمة الرواسي بعد قراءتها للروايتين آنفتي الذّكر يحيل على ما يستشعره المجتمع من خلل الصراع القائم فيه بين التقاليد والقيم الجديدة، فالمشاعر تحت الخيال على إنجاز مضمار لصورة ما تتطبع داخل الذات وتصدر إلى المجتمع عن طريق الإيمان بطريقة ما للخروج من متاهة الرّاهن الرّاكد.

تتأسس هذه الرواية ضمن مسار تجربة وسياق مشروع، لهذا ترتسم ملامح روايات سابقة للكاتب، كذكر المؤسسة"الكافية" في إحالة على رواية "الوساوس الغربية"، وتوظيف المعاني إنما يسهل عملية تتبع المسار الإبداعي للكاتب ونسقية مشروعه الروائي الذي ينطلق من بؤرة النّضال التي تسم حركة الفاعل النصي في الواقع، وهو ما يمنح واقعيته شفافيتها السياقية، أي المتعلقة بطبيعة الواقعية لدى محمد مفلاح.

–رواية همس الرمادي لمحمد مفلاح[15]: هي رواية جزائرية من تأليف الأديب محمد مفلاح الصادرة عن دار الكتب بالجزائر في جويلية 2013م، وتعد الرواية الرابعة للأديب عالج فيها أزمات الربيع العربي بشكل ملموس وبصفة واضحة، واختزل بقلمه أهم الأحداث التي عرفتها الدول العربية المعنية بالثورات العربية ، حيث استعمل اللون الرمادي للإيحاء

[14] - محمد مفلاح، سفاية الموسم،ص:15.
[15] -محمد مفلاح، همس الرمادي،دار الكتب، الجزائر، 2013.

على الزمن الحزين والكئيب، تماما مثلما اتسم به"حي الفرسان"في روايته وهو حي كان يتكون من 23مسكننا دمر إثر طوفان عنيف بعد السنوات التي مرت على أحداث أكتوبر1988[16].

هذه المرة كان أسلوب الروائي محمد مفلاح مختلفا، حيث ظهر في ثوب جديد وأسلوب أنيق يلائم المعنى واللفظ والشخصيات التي اختارها، حيث قدم لغة مشبعة بأنماط من التعبيرات اللفظية السلسة، تساعد على ترجمة البيئة التي وظفها الكاتب في فصوله العشرة، هذا دون أن يخرج من ثوب الواقعية التي غالبا ما تساعده على رصد تحولات المجتمع وترجمة مظاهره وأحداثه، وهو الأسلوب الذي عرف به فلاح منذ ولوجه عالم الكتابة الأدبية بأجناسها المختلفة.

كما تجدر الإشارة إلى أن الروائي محمد مفلاح عرف باستحواذه على ملكة الأسلوب، فكان أدبه مزيجا رائعا من القصص الراقية والروايات الرائعة التي اختزل فيها أحداث الظواهر الاجتماعية وأكثرها تأثيرا على المجتمع الجزائري والعربي.

3. العنوان الرئيسي الثاني دراسة وصفية للرواية:

الرواية: شعلة المايدة

الكاتب: محمد مفلاح

فحوى الرواية: هذه الرواية تتحدث عن نمط حياة شاب جزائري وعائلته بل وأعراش غرب الجزائر ككل خلال فترة الاحتلال الاسباني الثاني لمدينة وهران والمرسى الكبير1732م-1791م، وكذلك الحملة الاسبانية الكبرى على الجزائر سنة 1775م، مبرزا جوانب عدة كعلاقة بين الجزائريين والأتراك العثمانيين وأيضا مدى تعطش الجزائريين للعلم وللجهاد

[16] - عنف المدينة في رواية همس الرمادي لمحمد مفلاح، مؤرشف من الأصل في 5أبريل 2022، أطلع عليه بتاريخ2024/2/23، استشهاد بدورية محكمة، ص:108.

وسعيهم الحثيث لطرد الأسبان من أرضهم وجهودهم في سبيل ذلك، تلك الجهود التي تكللت بتحرير مدينة وهران بعد تعاون الشعب مع الأتراك تحت قيادة الباي محمد بن عثمان الكبير.

1.3 :النسق السياسي والاجتماعي

يقول محمد مفلاح في روايته:"هذه البلاد لها تاريخ عريق، ولكن الغزاة يجهلونه أو ينكرونه"...وأقول أنا:"هذه البلاد لها تاريخ عريق ولكن أبنائها يجهلونه أو ينكرونه... شعلة المايدة....رواية أسقطت الضوء على جانب مهم من تاريخ الجزائر، أيام الغزو الاسباني لوهران وسواحلها....ذكرت الرواية أهم الوقائع والأحداث التي سبقت العودة إلى مدينة وهران وتحريرها من الأسبان.....من خلال بطل القصة...وهو شاب ريفي يعيش في الدوار حمل حلم جده وأبيه على كتفيه وسعى جاهدا لتحقيقه فدرس واجتهد وحمل السيف حتى تحررت الباهية.

تبين لنا الرواية نمط عيش الجزائريين قبل عقدين من الزمن ومدى تعطشهم لطلب العلم والجهاد في سبيل الله والوطن وكذا طبيعة علاقتهم مع العثمانيين الأتراك التي عرفت بالتوتر الدائم.

يقول الدكتور وليد بوعديلة أن الكاتب الجزائري محمد مفلاح على القارئ برواية تاريخية تعيد التفاعل الإبداعي مع فترة هامة من التاريخ الجزائري، وهي فترة التواجد التركي العثماني، مستفيدا من قراءته التاريخية، وهو الذّي ألف كتبا كثيرة عن تاريخ منطقة غليزان ومقاوماتها الشعبية وأعلامها، كما له مكتبة أدبية متنوعة بين القصة والرواية ، فكيف أنجز حواره النصي مع الذاكرة الجزائية التركية في سياق الاحتلال الاسباني لوهران؟

يقول محمد مفلاح في روايته:"**إذا ما قارنت الجزائر آنذاك وجزائر اليوم فستذهل لشساعة الفرق ...شعب كانت الأرض تسري في مجرى دمائه وطلب العلم يحتل المساحة الكبيرة من وقته وحب الجهاد يعشش في عقله وفؤاده.**

رواية شعلة المايدة" الصادرة عن دار طليطلة للنشر والتوزيع ، تدفع القارئ إلى العودة لكتب التاريخ الجزائري قصد التأكد من كثير من المحطات والوقائع التي تحضر بين الصفحات بل إن قارئ الرواية مرغم على تصفح التاريخ والبحث في مصادره قبل قراءة الرواية، وهنا يقه الحوار بين الخطاب الأدبي والخطاب التاريخي والخطاب النقدي، ومن ثمة وجب تقديم بعضا من تاريخ مقاومة الجزائريين للاسبان قبل التناول النقدي للنص.

الوجود الاسباني في وهران احتل الاسبان وهران سنة 1550بعد أن وصلت الدولة الزيانية إلى درجة كبيرة من الضعف والانهيار نتيجة التنافس على العرش، وقد قاد الداي محمد بكداش المقاومة ضدهم وأخرجهم من المدينة، ثم عاودا الحملة عندما كانت تحت حكم الباي مصطفى أبو شلاغم الذي نقل المركز البايلك من مازونة إلى معسكر ليكون قريبا من المركز الاسباني بوهران والمرسى الكبير عام 1708م، لكن الاسبان أعدو حملة أخرى واستردوا المدينتين عام 1732م، ثم توجهوا بحملات ثلاث نحو عاصمة الجزائر، وآخرها كان عام 1784م حيث خرجوا منهزمين.

وسخر محمد الكبير في فترة توليه الحكم كل الامكانيات لتجنيد الأهالي، وبخاصة الطلبة، ولذلك قد بعث من جديد الرباطات وكان يراقبها ويدعمها ويشجع المنتسبين إليها ماديا، وقد استطاع جمع الألاف من المقاتلين لمواجهة الاحتلال الاسباني.

وبعد زلزال وهران عام 1790 الذي هدم الكثير من الأبراج والحصون وحول المدينة إلى ركام كبير من الحجارة تم جاء الانسحاب من هذه المدينة الهامة ومن المرسى الكبير في فيفري1792.

2.3 النسق الديني والثقافي:

عند قراءة رواية شعلة المايدة لمحمد مفلاح تبدأ عوالم تشكيل رواية تاريخية تتجلى أمام الوعي والذوق، ولا يمكن بأي حال تأويل أو نقد نص سردي دون وضعه ضمن تحديد جنسي أو نوعي، أي الجنس والنوع الأدبي، حتى لو اقتضى الأمر تركيب خصوصيات نوعية جديدة عبر هذا النص المدروس، فكل انفتاح يحيل –مع قراءة متأنية –إلى انتماء محدد، وجدنا هذه الرواية خطابا سرديا يحمل مميزاته ويبني هويته، إنها رواية التاريخ المفتوح–أمام القارئ سردا، وكأنها رحلة الحدث التاريخي والشخصية التاريخية من دهاليز وأوراق الكتب التاريخية إلى دهاليز وأوراق النص الأدبي، وهنا يتماهى الحقيقي بالمتخيل، يقول محمد مفلاح في روايته "**ولما قضى صلاته رأى والدته في فستانها الرمادي الخشن الفضفاض وهي تحمل كوبا طينيا قدمته له قائلة بصوت خافت:**

–سنشتاق إليك يا بني:

تناول منها الكوب الذي كان يحتوى على حليب ساخن، ثم قال لها مواسيا:

–لن يهدأ لي بال حتى أعود إلى الخيمة"[17]

تشير هذه الدلالات إلى المستوى الديني

نقرأ في الرواية أحداث الاحتلال وهران ونتأمل منطقة الغرب الجزائري ووجغرافيتها الطبيعية، بل جغرافيتها الثقافية الاجتماعية، وهو ما يحرس عليه الكاتب محمد مفلاح

[17] -محمد مفلاح: شعلة المايدة،ص:22.

كثيرا، وعيا وممارسة، نصا أدبيا أو تأملا فكرياً، ..."**قضى راشد أيامه الأولى بمرقد المدرسة، وظل يفكر تارة في والديه وبخاصة أمه فراقه، وتارة أخرى في يمينة السمراء التي ازداد خوفه عليها من بطش والدها**"[18]، وإذا كانت الرواية التاريخية من منظور جورج لوكاش هي عمل سردي يرمي إلى إعادة بناء حقيقة من الماضي بطريقة تخييلية حيث تتداخل شخصيات تاريخية مع شخصيات متخيلة، فإن رواية" شعلة المايدة"قدمت مشاهد من التواجد التركي بالجزائر ، بكل إيجابياته وسلبياته، كيف ذلك؟

ينطلق النص من مشهد الرؤيا وحضورها القوي في ذاكرة الإنسان الشعبي، ويقترب من يوميات الاحتجاج على سلطة الحكام العثمانيين وممثليهم وفرض الضرائب على الجزائريين، ونجد الدور الكبير للعلماء والمشايخ في المجتمع وتأثيرهم الديني والقبلي"كان راشد يقضي أوقات فراغه في مطالعة المخطوطات بمكتبة المدرسة أو في أحلام اليقظة منتظرا اليوم الذي يتخرج فيه من المدرسة ويعود إلى الدوار"[19]، كما يلتفت محمد مفلاح بإشارات سردية ذكية– إلى ظاهرة تاريخية هامة هي الرسائل المتبادلة بين الشيوخ والبايات أو القادة الأتراك، وهي رسائل تقدم صورا من المميزات الاجتماعية والسياسية والثقافية للجزائر في العهد العثماني"**وأمضى راشد جل أوقاته في حلقات الدرس يتلقى الروح في مختصر الشيخ خليل بن إسحاق وألفية ابن مالك وصحيح البخاري والعقيدة الصغرى في أصول الدين وسلم الأخضري في المنطق وقد نال بعد جهد كبير إجازة من الشيخ أبي طالب نفسه**"[20].

وهكذا وظف محمد مفلاح الأنساق الثقافية المضمرة، ضمنت معاها التاريخية سياسية واقتصادية واجتماعية غير منفصلة عن ذات الكاتب المنفعلة بالنص، فالتورية في النقد

[18] - محمد مفلاح، شعلة المايدة، ص:27.
[19] - محمد مفلاح، شعلة المايدة، ص:31.
[20] - محمد مفلاح، شعلة المايدة،ص:31.

الثقافي تضم المضمر الجمعي في صورة رمزية لم يقصدها المبدع ، ولم يدركها المتلقي، فهي أقرب ما تكون إلى نظرية(يونغ) الذي يرجع العملية الإبداعية إلى اللاشعور الجمعي، غير أن يونغ يرى أن الإسقاط عملية نفسية مقصودة يحول بها الفنان المشاهد إلى موضوعات خارجية يتأملها الآخرون، وهو بهذا يختلف عن اللاوعي الغير مقصود في التورية الثقافية.

4. خاتمة:

ومن أهم النتائج المتوصل إليها:

-يحتوى موضوع المقال على جزئين هامين هما: دراسة تطبيقية معاصر في النقد الثقافي على رواية محمد مفلاح "شعلة المايدة" من المحور الأول والرابع الرهنات المرجعية والثقافية والفكرية والتاريخية لأعمال محمد مفلاح.

-والثاني من المحورين الثالث المثقف الجزائري وإشكالية الهوية، وقد تحدثت في المقال عن النسق المضمر التاريخي والثقافي والديني الذي يمثل هوية الجزائري، ونظرة الملتقى لهذه المرجعيات.

-والمحور السابع: النقد والتنظير لهذه النصوص الإبداعية أي رأي النقاد فقلت أهم النقاد المعاصرين الذي قرؤوا أعمال محمد مفلاح.

-النقد الثقافي يكشف عن الخطابات المضمرة والمعلن للنصوص الأدبي ويعمل على إنتاج النصوص وهو أفضل طريقة لاستنطاق النص وتأويله.

-تتقن الأنساق المضمرة التخفي داخل النصوص وهذا ما يجعل الإبداعات الأدبية تزداد طابعا جماليا.

- عكس نص "شعلة المايدة" وظيفة النقد الثقافي حيث تتحدد عند الاستقبال الجماهيري، وقبول القراء للنصوص والخطابات.

– يكشف النسق المضمر داخل النص عن الهامش والمركز داخل هذه الخطابات وعن المسكوت عنه.

5. قائمة المراجع:

1– عبد الله الغذامي: النقد الثقافي –قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ج2005،3،ص:77–80.

2– سعيد يقطين: الفكر الأدبي العربي، البنيات والأنساق، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ط1، 2014،ص:81.

3– حمودة عبد العزيز: الخروج من التيه، دراسة في سلطة النص:عالم المعرفة،2003،ص:251.

4– سمير خليل : النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، دار الجواهري، لبنان، ط2012،1، 12.

5– محمد مفلاح:الرواية التاريخية تدون ما أهمله المؤرخون"،موقع نت/ من الأصل في 2024/02/20م، محمد مفلاح يؤرخ لثورة التحرير1864.

6– محمد مفلاح: تاريخ الطريقة الرحمانية"، من حصة "قراءات على الجزائرية الثالثة ، محمد مفلاح يروى تاريخ الطريقة الرحمانية، مؤرشف من الأصل في 2024/02/20م، اطلع عليه بتاريخ نفسه.

7– محمد مفلاح: سفاية الموسم،ص:04.

8– محمد مفلاح: سُفاية الموسم،ص:14.

9–محمد مفلاح، سفاية الموسم، ص:9.

10– محمد مفلاح، سفاية الموسم،ص:09.

11– محمد مفلاح، سفاية الموسم،ص:10.

12– محمد مفلاح، سفاية الموسم، ص:27.

13– محمد مفلاح، سفاية الموسم،ص:14.

14 محمد مفلاح، سفاية الموسم،ص:15.

15–محمد مفلاح، همس الرمادي،دار الكتب، الجزائر، 2013.

16 عنف المدينة في رواية همس الرمادي لمحمد مفلاح، موقع نت/ من الأصل في 5أبريل 2022، أطلع عليه بتاريخ2024/2/23، استشهاد بدورية محكمة، ص:108.

17-محمد مفلاح: شعلة المايدة،ص:22.

18- محمد مفلاح، شعلة المايدة، ص:27.

19- محمد مفلاح، شعلة المايدة، ص:31.

20- محمد مفلاح، شعلة المايدة،ص:31.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي علي كافي تندوف
مخبر الدراسات الأدبية والحضارية في المجال الأكاديمي الجزائري

شهـــادة مشـــاركة

يشهد مدير المخبر ورئيس الملتقى ومدير المركز الجامعي بأن :

د. نسيبة طيهار من جامعة محمد بوضياف بولاية المسيلة

قد ساهم(ت) في إنجاح الملتقى الوطني الثاني الموسوم بـ :

((الرواية والتاريخ: جدلية الحقيقة والإبداع))

بمداخلة عنوانها " التاريخ و التاريخ المضاد في روايات محمد مفلاح -دراسة أنساقية- "

وذلك يوم: الأحد 24 شعبان 1446 الموافق لـ: 23-02-2025

مدير المخبر

مدير المركز الجامعي